نظام الجيش الجزائري خلال الفترة العثمانية 1518-1830

أ./ جمعة إبراهيم
جامعة زيان عاشور الجلفة
brahimdjema@gmail.com

الملخص:
إنّ قدوم العثمانيين إلى الجزائر في مطلع القرن 16م كان نتيجة لتلك التّجاذبات السياسية والعسكرية التي عرفها كلّ من العالم الإسلامي والأوربي، فاشتدّ التّنافس بين الدّولة العثمانية والدّول الأوربية حول المسالك التّجارية، ومناطق النفوذ، فأصبحت منطقة المغرب وعلى رأسها الجزائر، التي كانت محطة أطماع الدّول الأوربية، حيث تعرّضت المدن السّاحلية للاحتلال، وشنّت ضدّها عدّة هجمات وحملات عسكريّة متتالية، ولم يكن في وسعها الدّفاع عن نفسها والتصدي لهذه الحملات، بسبب ضعفها، فكان المجتمع الجزائري في تلك الفترة بالذات يشهد عدم الاستقرار الداخلي، وتفكّك سياسي، فاضطرت الجزائر لمواجهة الظروف الصعبة إلى الاستعانة بالدولة العثمانية التي كانت تعد القوة الإسلامية الوحيدة القادرة على التصدي للمد الأوروبي والاحتلال الإسباني، وبعد الاستقرار وظهور الدّولة، ومؤسّساتها، التي كانت تعتمد في تمويل الجيش من عوائد الجهاد البحري أو القرصنة البحرية وعلى السّكان في جمع الأموال، للاعتناء بالجيش وتسليحهم لضمان استقرار واستمرار الدولة الجزائرية الحديثة.
الكلمات المفتاحية: الجيش الانكشاري؛ الدولة العثمانية؛ الجيش الجزائري.

Résumée:
L'arrivée des Ottomans en Algérie au début du XVI[e] siècle été la conséquence directe des polarisations politiques et militaires qu'a connues le Monde islamique a cette époque –a là. la concurrence et la tension montaient d'un cran, à plus des itinéraires commerciaux et les zones d'influence. Dans ces circonstances pareilles la région du Maghreb arabe, notamment l'Algérie est devenue la cible privilégiée et l'droit gourmand des Européens. Ce qui a ouvert la voie aux forces militaires européennes d'occuper les villes côtières et l'intensification de ses attaques et campagnes militaires successives.
Ombre d'elle- même et devant son impuissance face à ses ennemis multiples et variés et la déconfiture de la société algérienne à cette époque; qui a connu l'instabilité intérieure et les conflits politique à plus d'un titre; L'Algérie n à pu trouver moyen pour se défendre, que de fané recours à L'Epire Ottomane, qui était la seul force militaire islamique capable de contrecarres les force européennes et l' Espagne colonialiste. La stabilité de la situation et l'apparition des institution de l'état, n'ont été que la fruit de l'argent contribuable et les revenus des taxes douanières imposées à travers le piratage maritime et l'activité militaire des forces Ottomanes en méditerranées.

Mots clés: L'armée des janissaires; Empire Ottoman; Armée algérienne.

النظام العسكري العثماني:

لقد وقع على عاتق الدولة العثمانية منذ نشأتها، نشر الإسلام والقيام بالفتوحات الإسلامية، وحمل راية الجهاد، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، بدأ العثمانيون ممارسة سياسة عسكرية قائمة على الجهاد في سبيل الله ونشر الإسلام، والقيام بفتوحات أدت إلى جذب القبائل التركمانية للاشتراك في الفتوحات والحصول على الغنائم، ولكن بعد مرور فترة من الزمن، أثبتت القبائل التركمانية عدم جدواها في الحروب والفتوحات التي كانت أخذت في التزايد،

وعلى هذا كان لا بدّ من التّفكير في إنشاء فرقة قوية تستطع خوض غمار المعارك[1]. وكان الجيش يتكون من اربع فرق هي الانكشارية – الجيه جيه أو صانعو الأسلحة والطوبجية أو فريق المدفعية والطوب عربجية ويطلق على كل هذه الفرق اسم أوجك[*]، ومن أهم هذه الفرق جيش الانكشارية[2].

الجيش الانكشاري:

لقد اعتمد العثمانيون منذ نشأتهم على القوة العسكرية وذلك على اعتبار أنها القوة المؤثّرة، والعامل الرّئيسي في نشر الإسلام وبهذا أصبح الجيش في الدولة العثمانية شريانا رئيسيا، أولى كلّ الاهتمام والرعاية حتى أصبح اليد الأولى في نشر الإسلام والمحافظة على الدولة وكيانها، وهكذا تمكنت الدولة العثمانية من تنشئة جيش قوي فتح البلاد، وضرب بيد من حديد على الخارجين والطّامعين، وكان له دوره المميّز في الفتوحات الإسلامية العثمانية واتساعها في ثلاث قارات عالمية في أوروبا وآسيا وإفريقيا.

وكان العنصر الرئيسي المكون للجيش العثماني هو ما عرف بالانكشارية، وهي هيئة عسكرية فريدة من نوعها حيث اهتم بها العثمانيون اهتمام بالغ لم تحظ به أي هيئة حكومية أخرى. وتتألّف من أربع فرق تدعى الجماعات وبولك وسغبان وعجمي أوغلان[3].

تعريف مصطلح الانكشارية:

والإنكشارية هي كلمة عربية وقد حرفت عن الكلمة التركية عند ترجمتها وهي "يني تشاري "وهنا نرى ان الكاف في اللغة التركية تنطق نونا وتكتب يكجيري ولكن تنطق"يني تشري"yeniçeri [4].

وهكذا نجد ان الكلمة مكونة من مقطعين الأول يكي yeni بالنون الخيشومية بمعنى جديد،جري çery بالجيم المشوبة بمعنى العسكر،فيأتي المعنى الكامل العسكر الجديد أي الجيش الجديد وتأتي أيضا بمعنى الجند الجديد [5].

تأسيس الإنكشارية:

أسس السلطان أورخان عام 1330م هذا الجيش الذي يحتل الدرجة الأولى بين العساكر العثمانية، ولقد كانت مملكته صغيرة إلا انه كان يطمح بتوسيعها بفتوحاته. لهذا شعر بالعائدات التي سيجنيها إذ ألف جيشا من المشاة دائم الخدمة وكثير الطاعة، لذالك جند ما كان عنده من المسجونين المسيحيين.[6]

تكونت فرق النظام العسكري الجديد بفضل عملية الدفشرمة او الدوشرمة[7]، ومعناها يجمع أو يقطف، وهي مصطلح عسكري أطلق على أبناء المسيحيين المشردين في الشوارع،وكانوا

---

(1)- أماني بنت جعفر بن صالح المغازي: دور الانكشارية في إضعاف الدولة العثمانية (الجيش الجديد)، بالطعة الأولى، دار القاهرة، مصر، 2007م، ص. 47.

(*)- أوجاك: لغويا تعني الموقد، وهو محور تجمع الأسرة ومصدر دفئها، كما يعني المنزل أو الأسرة، ويطلق على الوحدات العسكرية، الكبيرة والصغيرة، ومعنى ذلك أنّ الإنكشارية أسرة موحّدة يجمعها كانون واحد.

(2)- مرادجه دوسون: ترجمة فيصل شيخ الأرض، نظام الحكم والإدارة في الدولة العثمانية في عهد مرادجه دوسون، أواخر القرن 18م، الجامعة الأمريكية، بيروت، 1942م، ص. 138.

(3)- مرادجه دوسون: نفس المرجع السابق ، ص. 139.

4 محمد فريد المحامي:تاريخ الدولة العلية العثمانية،الطبعة السابعة، دار النفائس، بيروت ،1414ه/1997م،ص123.

5 عباد صالح : الجزائر خلال الحكم التركي1514-1830م،دار هومة للطباعة، الجزائر2014م ، ص311.

6 مرادجه دوسون: نفس المرجع السابق ، ص138

7 جميلة معاشي: الانكشارية والمجتمع بباليك قسنطينة في نهاية العهد العثماني ،رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة ،2008/2007 ،ص3

يجمعون من شوارع البلدان المسيحية التي تم فتها وخاصة في بلاد البلقان وذلك بهدف إلحاقهم بالنظام العسكري الجديد (الانكشارية) ،لا يعرفون أبا لهم إلا السلطان، ولا حرفة لهم إلا الجهاد.[1] وقد بارك تأسيس هذا الجيش من المحاربين رجل متدين محترم يدعى الحاج بقطش مؤسس فرقة الدراويش البقطاشية وذلك بان وضع كم ثوبه على رؤوس كبار قادتة، وأطلق عليهم اسم (يني جري) اي الجيش الجديد[2]. وتنظيمه لم يكتمل إلا في عهد السلطان محمد الثاني ثم في عهد السلطان سليمان القانوني، ومن ثم أصبحت الدولة العثمانية أول دولة عرفها التاريخ الحديث أقامت جيشا عظيما منظما مكون من المشاة والخيالة.[3].وكانت هناك قوانين تنظيمية وضعها مراد الأول ابن السلطان أورخان (1389-1362م) ، وهي تضبط سلوك أفراد هذا الجيش. على أية حال استطاع العثمانيون عن طريق هذا الجيش أن يحققوا الفتوحات الواسعة، وان يقفوا أمام التحالفات الأوروبية التي واجهتهم، ومن خلال هذه الانتصارات التي حققها هذا الجيش الانكشاري أصبح له مركزا ممتازا بين فرق الجيش العثماني[4].

- نظام الجيش الجزائري:

تعتبر الجزائر خلال العهد العثماني دولة حديثة وليدة المنظومة العسكرية، حيث نجد أن الجيش أعطى كل ولائه للخليفة وأدار بنفسه دواليب الحكم، وتمثل دوره الرئيسي في توجيه السياسة الداخلية والخارجية للدولة.[5]

اعتمد في بادئ الأمر على المتطوعين في تكوين الجيش الجزائري، سواء من القراصنة الذين جاؤ من المشرق أو من الأهالي الذين تعاملوا معهم في بجاية، جيجل، الجزائر، المدية، إلا أن تجربة المتطوعين أثبتت محدوديتها في مواجهة القوى الخارجية والداخلية.

لقد أدرك خير الدين آنذاك أن المشروع الذي يريد تجسيده في الجزائر لن يتحقق اعتمادا على المتطوعين، فاتجه إلى الدولة العثمانية، التي زودته بعدد معتبر من الجنود النظاميين، أو ما كان يعرف بالإنكشارية.[6] فقد كان مجموع مجنديها تقريبا من بلاد الأناضول[7]، حيث اصدر السلطان سليم فرمانا يتضمن فيه أن المتطوعين للمعركة الإفريقية ستكون لهم مجانية النقل وضمان انخراطهم بأجور منتظمة في الاوجاق.[8] ويمكن تفسير ذلك برغبة العنصر التركي في الحفاظ على السلطة. على أية حال فان التجنيد بكثرة بين السكان المحليين قد غير بشدة من طبيعة الاوجاق، وبعد أن تم التخلي عن القواعد الأساسية للانكشارية، عن عدم ممارستهم لأية مهنة وعدم إقامتهم خارج الثكنات، فتح الباب لالتحاق إعداد كبيرة من الأهالي بصفوف الانكشارية والذين رغبوا في الاستفادة من المزايا المتنوعة التي يحققها الانتماء إلى هذه القوات، وقد أدت هذه الظاهرة إلى تعميق الروابط التي كانت قائمة بين العسكريين والسكان المحليين[9].

---

1 أماني بنت جعفر بن صالح المغازي ، المرجع السابق ،ص24

2 مرادجه دوسون:المرجع السابق، ص138

3 أماني بنت جعفر بن صالح المغازي: المرجع السابق، ص48

4 نفسه، ص49

5 خلاصي علي ،الجيش الجزائري في العصر الحديث ،منشورات الحضارة، الجزائر،الطبعة الثانية2013م، ص 234

6 عباد صالح ، المرجع السابق، ص 311

7 اندريه ريمون:ترجمة لطيف فرج: المدن العربية الكبرى في العصر العثماني،الطبعة الاولى 1991، دار الفكر ،القاهرة-باريس،ص58

8 وليم سبنسر: الجزائر في عهد رياس البحر ،تعريب عبد القادر زبادية ، دار القصبة للنشر ، الجزائر ،2006 ، ص45

9 اندريه ريمون: نفس المرجع ،ص58

وهكذا أصبح للجزائر جيش حديث على شاكلة الجيش الإنكشاري العثماني، كما انه قائم عل نفس نظامه. إذ أن الطبيعة الأساسية للنظام الإنكشاري الأصيل قد طبقت بقوة عجيبة علي مدينة الجزائر، فكل توظيف يحصل عليه لصالح الاوجاق، أنهم ينتمون إلى مجموعة حاكمة لها صلاحية المراقبة في الحكومة الجزائرية.[1]

وتألف الجيش الجزائري من فئتين، فئة المجندين وفئة المتطوعين القادمين من البلاد الإسلامية، وقد قسم في بادئ الأمر إلى جيش عامل وحرس الحدود وهم المكلفون بحراسة الحدود ومراقبتها وحرس الأرض من الخيالة المحلية.[2]

نظام الجيش البحري والبري:

مع نهاية عام 1620م حيث أدخلت تغييرات على التنظيم الذي وضعه خير الدين، وقسم هذا الجيش إلى قسمين:

- **القوات البحرية**

إن أول من أسس الأسطول العثماني البحري، هو السلطان مراد الثاني(1421-1444)و(1451-1446) ليطرد البنادقة من بعض المناطق الساحلية في شبه جزيرة البلقان، ولم تتجه أنظار العثمانيين إلى فكرة بناء أسطول بحري قبل السلطان مراد الثاني ، لان أملاكهم على الرغم من سعتها كانت في الواقع تشمل عدد قليلا من المدن الساحلية، فلما سقطت في أيديهم الدويلات التركية غير العثمانية في عهد با يزيد الأول، واتجهت أنظارهم إلى أهمية الأسطول إلا أن غارة تيمورلينث عام 1402م عطلت عدا المشروع، وكان من الطبيعي أن يفكر مراد الثاني الذي أتى بعده في بناء هذا الأسطول[3]. وابرز شخصية في حياة الأسطول البحري العثماني في هذه الفترة هو خير الدين بربروس الذي كان له الدور الفعال في تطوير الأسطول العثماني منذ انضمامه إليه مع ضباطه[4]

البحرية هي القوة الأولى التي تشكل منها الجيش الجزائري. تكونت نواتها الأولى من الذين جاء بهم الإخوة بربروس من بحارة وسفن من المشرق. اهتموا كثيرا بتنمية وتطوير هذه النواة من الناحية المادية والناحية البشرية، إلى أن أصبحت الجزائر تملك أسطولا بحريا لا يستهان به في حوض البحر المتوسط. فكانت وضيفة البحرية الجزائرية هي القرصنة والدفاع عن السواحل.[5] إلا أن البحرية الأوروبية عرفت تطورا أحسن من البحرية الجزائرية، لذلك لم يكن الأسطول الجزائري قادرا على مواجهة الأساطيل الأوربية الضخمة المجهزة بأحسن الوسائل والمدافع، لكنه كان يملك قدرة كبيرة على الحركة والسرعة الفائقة في الإفلات من قبضة هذه الأساطيل التي كانت تجوب البحار والمحيطات. لهذا كان الأوروبيون يوجهون هجماتهم ضد السواحل الجزائرية، وخاصة سواحل مدينة الجزائر (دار السلطان) التي كان ميناؤها يعتبر ميناء رئيسي للأسطول الجزائري، لذلك كانت هذه المدينة تأوي اغلب الجيش الإنكشاري والبحارة[6].فأقاموا الحصون والأبراج على طول هذا الساحل الجزائري[1]

---

1 وليم سبنسر: المرجع السابق، ص66

2 كليل صالح:سياسة خير الدين في مواجهة المشروع الاسباني لاحتلال المغرب الأوسط،رسالة ماجستير ،جامعة باتنة،2007م، ص172

3 محمد سي يوسف :قليج علي باشا ودوره في البحرية العثمانية ، 1988 ، ص 18

4 نفسه ، ص 19

5 صالح عباد: المرجع السابق ، ص321

6 صالح عباد : المرجع السابق ، ص226

الجيش البري:

يتكون من الإنكشاريين، وكان الفرد منهم يعيش دون أمل في أن تكون له زوجة وأولاد، فالسلطان والده والثكنة مأواه، والحرب مهنته، والقرآن عقيدته، وكان الجندي منهم ينظر إلى أعداء السلطان على أنهم أعداء الله وليس أمامه إلا أن يمضي في قتالهم بروح رحبانية ملؤها حماس متأجج. وقد بلغ من شجاعة هؤلاء الإنكشارية واستبسالهم في المعارك، أن وجود فرقة واحدة منهم في أي جيش عثماني كان يضمن استماتة هذا الجيش كله في ميدان القتال[2].

بلغ عدد القوات البرية حوالي خمسة عشر ألف جندي وضابط، وهو عدد كبير بالنسبة لعدد أفراد القوات الإنكشارية، وان الخدمة تنقسم فيه حسب السنواتالسنة الأولى في الخدمة تكون في الحاميات والتي تضم حوالي2000 عنصر والمنتشرة على كل المدن الجزائرية،وخاصة عواصم البياليك.

السنة الثانية تكون الخدمة في المخيم أو المحلة.

السنة الثالثة تكون في الحواضر، حيث تكون الخدمة بدار السلطان، وهي سنة وتعتبر راحة[3]، اما الترقية للرتب فقد كانت تعتمد على الاقدمية، فكان الجندي عندما يلتحق بالاوجاق ، يتحصل على ادنى رتبة وهي اليولداش Yoldas وبعد مرور ثلاث سنوات على الخدمة متنقلا بين النوبات والحاميات في السنة الاولى، ثم يعمل في السنة الثانية بالمحلات، او الفرق التي تقوم بجمع الخراج، وفي السنة الثالثة يعود الى الجزائر ليقضي وقتا من الراحة، خلال هذه الفترة يمكنه ان يشتغل في الدكاكين والحقول،وعند انقضاء السنة الثالثة[4] فإن اليني يولداش(اليولداش الجديد) يحييه رفقاؤه بمثابة ايسكي يولداش Eski Yoldas أي يولداش قديم، وفي خلال ثلاث سنوات أخرى في الخدمة[5] تكون بقصبة الجزائر او بمينائها، وبعد الانتهاء من الخدمة يصبح برتبة باش يولداش Baz Yoldaz [6] أو رئيس فرقة لخيمة (الصفرة) ، التي تتكون من ستة عشر الى عشرين جندي، وهي تعتبر المجموعة القاعدية للجيش الانكشاري.[7]

وبعد ذلك فان كل ترقية في رتبة الاوجاق تأتي بالتدرج وتعرف مسبقا كنتيجة للأقدمية في الخدمة، وهكذا يترقى الجندي الانكشاري في الرتب حتى يصل الى رتبة الجندي الخاص تسمى رتبة فيكيلهارجي Vekilhardji (عريف أول) أو وكيل الخراجي . بعدها تأتي خمس رتب في صف الضباط هي ، اوداباشي odabasi(ملازم أول) ثم بولوكباشيbolukbasi اي (نقيب)، يليه أغا باشي aghabasi (رائد) ، ثم تاتي رتبة كاهيا أي (عقيد)، ثم أغا (جنرال) ، وكل أغا يبقى في وضعيته لمدة شهرين يصبح بعدها عضوا في الديوان[8]. عند نهاية هذه المرحلة من الترقيات في الجيش الانكشاري يصبح اليولداش من المنتسبين الى محكمة الكاهية

---

1 مفتاح عثمان :طبانات مدينة الجزائر خلال الفترة العثمانية 1830/1514م، أطروحة دكتوراه،2015/2014م،جامعة الجزائر2،ص30

2 محمد سي يوسف: المرجع السابق ،ص17

3 كليل صالح : المرجع السابق ،ص173

4 خلاصي علي : المرجع السابق ، ص270

5 وليم سبنسر : المرجع السابق ، ص69

6 خلاصي علي: المرجع السابق، ص270

7 وليم سبنسر : المرجع السابق ، ص68-69

8 وليم سبنسر: نفسه ،ص 69

بالجزائر أو قائد الدار بقسنطينة أو شيخ البلد بوهران[1] إما أن يعاد تثبيته في الرتبة الأعلى أو ينقل إلى القسطنطينية أوالى بعض الأقسام في الإمبراطورية، وهكذا يحصل على رتبة منسول أغا mansoul Agha وأحيل على التقاعد ولكنه يحتفظ بحقه في البقاء كعضو في الديوان[2].

- نظام الجند:

- الاوجاق:

كان يعبر على نظام الجند بالوجاق (أوجاق)* وأصل معناها الموقد وهو موضع وقود النار واشتعالها، وهو مصدر دفئ ومحور تجمع ولقاء الأسرة، واستعمل بمعنى البيت الذي يسكن فيه اليولداش، ويطلق على الوحدات العسكرية الانكشارية، الثكنات أو (القشلات)* أي محل سكنى الجند[3].وهذا مما يعني ان الانكشارية اسرة واحدة تجتمع على موقد واحد

- الاوضة:

وهو البيت الذي يسكنه الإنكشاري، وفي اللغة التركية أوده بمعنى الحجرة أو البيت، وتدل عادة على المأوى الذي يضم أفراد الأسرة الواحدة[4]، وكان لكل اوضة قدر (قازان)الذي يدور حوله الانكشارية للأكل، ورئيس الاوضة يسمى اوضا باشي.

السفرة:

تعني المائدة حيث يجتمع حوله الانكشارية أثناء وقت الطعام، ومناقشة احوالهم وامور الدولة، وتتألف السفرة من احد عشر الى ستة عشر جنديا انكشاريا[5]

والانكشارية ينقسمون الى عدة وحدات تعرف كما قلنا سابقا بالاوجاق ، ويوزعون على النوبات و الحاميات في المدن وفي أرجاء البلاد

- النوبة:

هي تلك الحامية التي يرسلونها الى بعض المدن لحراستها وحراسة نواحيها، وتسميتها بالنوبة تدل على أنها تقيم مدة معينة كانت مقدرة بسنة واحدة ثم تخلفها نوبة اخرى اي جماعة اخرى، وبعد رجوعها الى العاصمة فإنها تنال سنة من الراحة والنوبة تشتمل على سفرة او أكثر حسب الموقع الذي تشرف عليه، والسفرة يقدر عدد جنودها من إحدى عشر إلى ستة

---

1 علي خلاصي : المرجع السابق، ص271

2 وليم سبنسر :نفس المرجع، ص 69

* اوجاق : لفظ تركي معناه الأصلي: المكان المعد من الطين أو القرميد، الذي تنفخ وتشعل فيه النار ثم تطور مدلوله ليطلق على الجماعة التي يتواجد أفرادها في مكان واحد، ثم أطلق على مجتمع أرباب الحرف، ليصبح في العصر العثماني لقبا لأصناف جند السلطة الذين تشكلت منهم القوات العثمانية(البرية والبحرية). مصطفى عبد الكريم الخطيب: معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، دار الرسالة، ط 1 سنة 1996، ص55

3 عبد القادر نورالدين: صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي ،دار الحضارة، 2006م،ص82

*القشلات: مفردها قشلة kişla تعني معسكر شتوي نسبة الى كلمة قش الثي تعني الشتاء، وقد اطلق من بعد على الثكنات الخاصة بالجيش الانكشاري(المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، سهيل صابان،مكتبة الملك فهد، الرياض ،2000مص181

4 عبد القادر نور الدين : المرجع السابق : ص83

5 نفسه، ص85

عشر جنديا[1]، ويدخل اليولداش في صفة الإلزامية في الخدمة العسكرية في النوبة لمدة سنة وذلك مع بداية الربيع، ويتم تموين هذه النوبات من طرف البايلك، وقبائل المخزن [2]

ـ المحلة:

إذا ما حاولنا ان نحدد واقع هذه المؤسسة وخصوصياتها فإنه يمكن التمييز بين صنفين من الأمحال، حيث اختلفت في الوظائف وان كان يصعب الفصل بينها في بعض الحالات بحكم تشابك الوظائف الردعية والجبائية والتمثيلية أحيانا[3]. والمحلة تشمل عدد من الاخبية (الخيام) والخيمة فيها نحو خمسة عشر[4] إلى عشرين جنديا[5] وتتشكل هذه المحلات من القوة التركية المقيمة بمراكز البايالیك، ومن فرسان المخزن الذين يتراوح عددهم من 500الى 1000 فارس في كل محلة، بالإضافة إلى قوة عسكرية يبعث بها أغا العرب من الجزائر ويقوم البايات بتقديم المؤونة لها، وهذه القوه غالبا ما كانت تتألف من حوالي 270 رجل وقد تصل في بعض الحالات مابين 400 و 600 رجل لكل بايلك، وفي بعض الحالات الخاصة الصعبة ترتفع لتصل إلى 1500 رجل موزعون على 60 خيمة[6].

يتمثل النوع الأول في المحلة بأنها محلة تأديبية ردعية التي تخرج بصفة استثنائية دون توقيت محدد من قبل. تجهز هذه المحال عند حدوث تمرد او عصيان طارئ، هو في خطر خارجي يهدد البلاد، يخرج بها الأمير لإطفاء نار الفتنة وتجديد بيعته وتثبيت حدود ملكه. تعرف هذه المحال بمحال الحرب[7]. وفي بعض الحالات تكون تحت قيادة الأغا أغسي أو أغا العرب[8].

أما النوع الثاني من المحال فهو يتمثل في المحلة العادية أو الموسمية، وهي محلة منتظمة تخضع لتوقيت محدد ومسار محدود، لها رحلتان في السنة رحلة في الشتاء ورحلة في الربيع، تحضر هذه المحال بعد تشكيل فرقهم وخيمهم وضبط اتجاههم و تعيين بعض شيوخ القبائل والأوطانوذلك لتأمين الطريق وتوفير المئونة لتموينهم ، وتنحصر وظيفة هذه المحال في جمع الضرائب[9]. تجوب المحلة الأرياف لمدة طويلة قد تصل إلى ستة أشهر أو سبعة شهور تستخلص فيها الضرائب وتوقع العقاب على الممتنعين[10]، وإذا أبقى الباي المحلة أكثر من المدة المقررة لها فإنه يكون المسئول عن مصارفها. فمحلة بايلك الشرق كانت تتكون من ستين خيمة، تشكل كل واحدة منها صفرة متكونة من ستة عشر جندي[11] تنقسم الى قسمين ، احدهما بقيادة الباي، يجوب الهضاب العليا والتل الجنوبي، تصل قوات هذه المحلة الف جندي وهم من

---

1 نفسه، ص84

2 E.Vayassettes :Histoir de Constantine sous les derniers beys Depuis l'invation jusqu'à l'occupation 1837,arnolet,paris,1869, p 35

3 دلندة الارقش-جمال بن طاهر-عبد الحميد الارقش:المغرب العربي الحديث من خلال مصادره،ميدياكوم ،الجزائر،2003 ،ص132

4 نور الدين عبد القادر: المرجع السابق، ص85

5 صالح عباد: المرجع السابق ، ص314

6 ناصر الدين سعيدوني الشيخ المهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص36

7 دلندة الارقش-نفس المرجع ،ص132

8 صالح عباد : المرجع السابق ، ص314

9 Venture de paradis : Alger Au 18 siècle ,In R.A 1896, p 53

10 ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص37

11 صالح عباد: المرجع السابق، ص314

الأتراك ، أما القسم الثاني يكون على رأسه خليفة الباي، يصل عدد الجند المرافقين له خمسمائة جندي تركي وهي تتنقل بين مناطق التل الشمالية المتاخمة لساحل البحر[1]، أما محلة بايلك التيطري فهي تتكون من خمسة عشر خيمة وتعود بعد حوالي الشهرين[2]، تنطلق من ساحة الربط وتلتحق بالبايلك عن طريق قوناق(konaq) فندق الحميز في المرحلة الأولى ثم تصل قوناق جسر بني هني وواد يسر ثم قوناق ذراع البغل لتصل إلى المرحلة الرابعة بقوناق كرمة الحيط احد قبائل سهل عريب[3] ، وتمر بسور الغزلان لتوقع العقاب على قبائل ديرة واعراش التيطري الجنوبية ، وعندما تبلغ البرواقية يعود الجند التركي إلى الجزائر بقيادة الأغا ويواصل جند المحلة وفرسان المخزن طريقهم إلى عاصمة التيطري المدية[4].

- القوناق:Konaq

هي محطات تقيم فيها جميع الحملات الفصلية المنضمة من طرف دار السلطان لحمل الضرائب، هذه المحطات ليس لها مبنى خاص بل تقيم داخل خيم تابعة لإدارة المخزن وهي مكلفة بتأمين الطريق لحامل البريد الرسمي من والى دار السلطان والبياليك[5]. كما تتوقف عندها فرق الاوجاق وبعض المسافرين للاستراحة من عناء الطريق وأتعاب السفر قبل مواصلة الطريق[6]لأنه مكان آمن ، وهي عبارة عن نقاط مراقبة تجمع بين النوبات عبر أقاليم الآيالة وهي تشرف على الطرق الرئيسية غايتها تحقيق الأمن التجاري وتنقل الأشخاص والحفاظ على سلامتهم ، وتساعدها في مهامها قبائل المخزن والأوطان التي لها وزن عسكري واجتماعي.

- النظام العسكري بالريف:

ان العلاقة القائمة بين السكان والإدارة كانت طبيعتها تحددها قضية الضرائب والولاء، فكلما التزم الطرفان، الإدارة والسكان بواجباتهما كلما عرفت البلاد استقرارا وازدهارا وقوة وإذا تخلى احد الطرفين عن التزاماته تعرضت البلاد للفوضى وهنا تكمن دراسة النظام الإداري والعسكري بالريف الجزائري من الجهة الشرقية لدار السلطان ، بايلك التيطري وبايلك الشرق.

اعتمدت سلطة ايالة الجزائر منذ المنتصف الثاني من القرن السابع عشر في إرساء قواعد حكمها وهياكلها الإدارية في الأوطان والأرياف على بنية القبائل المخزنية ونظمها العسكرية التي كانت نموذجا أساسيا في التطور الإداري والاقتصادي والاجتماعي، وذلك بفضل العثمانيين الذين نجحوا في تكوين تجمعات قبلية اصطناعية متميزة في أصولها ومستقرة في حدود أرضية إقليمية مشاعة بينهم ومرتبطة بحكم إدارة سلطة البايلك والايالة[7]. فكانوا سكان الأرياف يؤلفون غالبية سكان الايالة الجزائرية، إذ كانت تزيد نسبتهم العددية على 95 بالمائة من مجموع السكان ويمكن تصنيفهم حسب صلتهم بالحكام وعلاقتهم ببعضهم البعض[8]. وهكذا يتضح لنا الدور الحاسم الذي لعبته قبائل المخزن، بحيث جعلت الحكام الأتراك ينظرون إلى

---

1 ناصر الدين سعيدوني : نفس المرجع السابق، ص37

2 صالح عباد: المرجع السابق ، ص314

3 صالح عباد: نفسه، ص315

4 ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي: المرجع السابق، ص37

5 Rinne louis : le Royaume d’Alger sous le dernier Dey. R.A, 1897 , p133

6 ناصر الدين سعيدوني: دراسات .....المرجع السابق ، ص108

7 ناصر الدين سعيدوني : ورقات جزائرية.....، المرجع السابق ، ص258

8 ناصر الدين سعيدوني والالشيخ المهدي: المرجع السابق ، ص105

الأهالي على اختلاف أوضاعهم لا على كونهم رعايا خاضعين وإنما باعتبارهم أصنافا ومجموعات بشرية متفاوتة من حيث الواجبات والحقوق، فمن خلال هذه النظرة يمكن ان نقسم المجتمع السكاني الريفي الى عدة أصناف من السكان[1]، فهناك صنف خاضع مستغل من طرف الدولة وهم قبائل الرعية وهناك صنف أخر وهم مجموعات سكانية متحالفون ، وصنف ثالث هم سكان ممتنعون ضلوا مستقلون يعشون في المناطق الجنوبية والجبلية أما الصنف الرابع وهم السكان المتعاونون وهم قبائل المخزن[2].

قبائل الرعية

هي القبائل التي لم يكن لها أي امتياز من السلطة التركية، وهي التي كانت تدفع الضريبة والرسوم المختلفة، كما كانت تفرض عليها أعمال السخرة*[3]، فكانت تتعرض للاضطهاد والإكراه والاستغلال المستمر من طرف البايليك وقبائل المخزن، فأرغمت على بيع محاصيلها الزراعية بأسعار زهيدة، ومنع عنها الاتصال بالقبائل المعادية للبيايليك، كما خضر عنها شراء الأسلحة والبنادق واقتناء البارود [4] .

كانت معظم قبائل الرعية تقيم في المناطق التي كانت تحت نفوذ الإدارة، والمتمثلة في قبائل المخزن والقبائل المتعاونة معها، والحاميات العسكرية المرابطة في الأبراج ومدن البياليك. كانت قبائل الرعية تستفيد من استغلال القطع الأرضية الفلاحية مقابل تقديم خدمات للإدارة، ودفع الضرائب المقررة عليها [5].وحتى لا تفلت هذه القبائل من أيدي رجال البايالیك وضع على رأس كل قبيلة كبيرة قائدا من الأتراك أو الكراغلة وصل عددهم في بايلك الشرق 24 قائدا أما شيوخ القبائل فكانوا يعينون من العائلات الكبيرة المتعاملة مع البايات ، وعددهم 11شيخا [6] ، كانوا تحت إدارة أغوات الدوائر والقياد، والخوجات، وخلفاء البايات والبايات أنفسهم، وهناك من كان تابع لخوجة الخيل وأغا العرب بمدينة الجزائر، ففي دار السلطان كانت قبائل الرعية تتمركز في المنطقة الممتدة من بوحلوان غربا إلى يسر شرقا، تابعة لأغا العرب بدار السلطان، وكان الأغا يشرف على تلك القبائل، يساعده في ذلك فرقا من الزمول كان يبعث يرسلها الداي ، لتتولى مراقبة حركة القبائل الجبلية الممتنعة، وكان الداي يمنح لأفراد هذه الفرق أراضي زراعية، كما كان يزودهم بالخيول والاسلاحة، ويرسل لهم كل عام الكسوة، فكانوا يرافقون الأغا في جولاته التفقدية لقبائل الرعية، أما قائد الوطن هو من كان يشرف على قبائل الرعية فكانت سلطة وطن الخشنة شرق الجزائر تغطي قبائل عمال وبني عائشة إلى غاية يسر أما القبائل الواقعة بين يسر و سباو، فكانت تابعة لقائد وطن يسر[7].

أما منطقة القبائل فبعد ان تم فصلها عن بايلك التيطري في اواخر القرن 18م، شيد بها العثمانيون عددا من الأبراج مثل برج بوغني، وبرج تيزيوزو، وبرج دلس. وكانت ترابط بها الحاميات العسكرية المدعمة بقبائل الزمول والرعية التي كانت تابعة لإدارة لقائد سباو. أما

---

1 ناصر الدين سعيدوني:دراسات وابحاث.....، المرجع السابق، ص101

2 ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي: المرجع السابقن ص105

*السخرة :هي خدمة اجبارية بغير اجر معلوم، واعمال السخرة عي اعمال بدون اجر مفروضة على من يقوم بها

3 صالح عباد : المرجع السابق، ص367

4 ناص الدين سعيدوني والشيخ المهدي: المرجع السابق ، ص 108

5 ارزقي شويتم: المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني 1519-18 :الطبعة الاولى، دار الكتاب العربي، الجزائر ، 2009 ، ص 257

6 ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي: المرجع السابق ، ص 108

7 ارزقي شويتام : المجتمع الجزائري .....، المرجع السابق، ص 260

قبائل جرجرة ،فكانت شبه مستقلة، إذ كانت الضرائب تفرض على بعض الأشخاص الذين كانوا يزرعون أراضيهم الواقعة في حوض سيباو[1].

- قبائل متحالفون:

هي مجموعات سكانية متحالفة، تتعامل مع البايلك عن طريق شيوخها وزعمائها المحليين الذين أصبحوا بحكم العادة والعرف يتوارثون حكمها، معتمدين في ذلك على نفوذهم الديني او كفاءتهم الحربية، أو أصالة نسبهم وهم فئتين الاجواد والمرابطون [2].

- الاجواد:

أو النبلاء وهم الذين فرضوا نفوذهم أو حتى سلطتهم بالقوة على المناطق التي تحت حوزتهم، وتتسع وتضيق حسب وضعية السلطة المركزية التركية، لم يكن أمام الأتراك إلا الاعتراف بنفوذ هذه الفئة[3]، وفي الكثير من الأحيان يعلنون عليهم الحرب أو يؤججون الصراعات داخل عائلاتهم، فيناصرون صفا ضد الأخر، ليخلوا لهم الجو في النهاية والانقضاض على خصومهم بعد عزلهم عن حلفائهم الطبيعيين[4]. وفي بعض الأحيان اضطرت السلطة التركية إلى التعاون مع هؤلاء في الكثير من المناطق وخاصة شرق الايالة[5] بايلك قسنطينة كأسرة المقراني بمجانة[6] وأمراء بني العباس وأحرار الحنانشة، وأولاد بن عاشور في فرجيوة وأولاد عزالدين في الزواغة، كان هؤلاء النبلاء أسياد في مناطق نفوذهم ، يجمعون الضرائب والغنائم دون تدخل السلطة التركية، لكن هذه السلطة كانت تحاربهم كلما زاد نفوذهم وقوتهم، وكان بجانبهم بعض القادة من القبائل الرعية يعملون على جمع الضرائب والأموال حتى يتمكنوا من شراء مناصبهم ومراكزهم القيادية ، أو من اجل الحصول على الكماليات[7].

- المرابطون:

هم اسر دينية، كانت تقوم بدور الوساطة بين القبائل المتمردة والسلطة الحاكمة، وكانت هذه الأسر تحضي باحترام وتقدير كبير لدى الأهالي[8]، كان انتشار المرابطين ورجال الدين او المشايخ والزوايا والطرق الدينية في الأرياف والمدن ابتداء من القرن الخامس عشر وتواصل هذا الانتشار خلال العهد التركي بقوة ، فكانت قوتهم تكمن في استعمال الدين، فكان الجميع يخشاهم، من الأفراد العاديين إلى رجال السلطة من الأتراك.

كان المرابطون ورجال الطرق الدينية يتنقلون في طول البلاد وعرضها دون خوف من هجوم اللصوص وقطاع الطرق، فكان المسافرون يصحبون معهم احد المرابطين ليتقوا شر اللصوص وقطاع الطرق. كما ان السلطة التركية هي نفسها استعانت بالمرابطين في نقل الأموال عبر الطرقات الغير آمنة ، فمثلا نجد المقراني وهو مرابط من جيجل كان مكلفا بنقل أجرة الجنود من قسنطينة إلى مدينة جيجل. فالمرابط هو حامي ومنقذ القوافل وكانت الحاميات

---

1 نفسه : ص262

2 صالح عباد : المرجع السابق، ص ، 362

3 صالح عباد : نفس المرجع السابق، ص362

4 Rinn louis : op , cit , p 126

5 صالح عباد : نفس المرجع السابق، ص362

6 ارزقي شويتام: نهاية الحكم العثماني في الجزائر وعوامل انهياره 1800-1830م،دار الكتاب العربي ، الجزائر، 2011م، ص83

7 صالح عباد : نفس المرجع السابق، ص 363

8 ارزقي شويتام : نهاية الحكم العثماني ، .....المرجع السابق، ص83

التركية هي نفسها كانت مضطرة إلى اصطحاب مرابط عند اتجاهها إلى حصن بجاية في مسلكها البري [1].

وقد غلب على هذه العائلات التي تولت حكم المجموعات القبلية المتحالفة، الطابع الروحي في غرب البلاد وهم المرابطين والطابع الحربي في شرق الايالة وجنوب التيطري، بينما العائلات التي تولت زعامة هذه المجموعات القبلية الحليفة بمناطق جرجرة والبابور والصومام اعتمدت في فرض زعامتها على أصولها العريقة (الأشراف) وكان امتثالها لرأي الجماعة[2].

لقد نصح الأتراك بحسن التعامل مع المرابطين حتى يتمكنوا من السيطرة على الجزائر، وان يمنح المرابطين ثقة مطلقة لان ذلك يمنع الجميع من ان يقفوا موقفا معارضا ، من ذلك الحين فرض الأتراك على أنفسهم احترام المرابطين ، وإنما صاروا يقدمون لهم اكبر الامتيازات وأثمنها ، منها حق جباية الضرائب وجمع الزكاة ، واستفادوا من أملاك الوقف التي كانت معتبرة ،وصارت أماكن سكناهم و ضرائحهم ن بعد الموت مقدسة، كما أن القانون لا يمس كل من لجاء إليها ، ويمكن القول باختصار ان علاقة السلطة التركية بالمرابطين قد ضلت قائمة على المبدأ الذي حدده سيدي احمد بن يوسف سنة 1517م وذلك حين قوله لعروج " ان حكمكم لا يجري علينا ولا على نسلنا ولا على من تعلق بنا ولا على نسلهم، إن رهبتم أحسنتم وإن خالفتم عوقبتم"[3].

- قبائل المخزن:

يمكن تعريف قبائل المخزن بأنها مجموعات سكانية لها صبغة فلاحيه وعسكرية وإدارية لما تقوم به من أعمال وتؤديه من ادوار وهي لا تعود في أصولها إلى نسب واحد ا واصل مشترك بل هي في واقع الأمر تجمعات سكانية تعميرية ذات تكوين اصطناعي فمنهم العبيد والكراغلة وعرب الصحراء وسكان الهضاب والجبال، هي تشكل حلقة وصل بين الأهالي في الأرياف والحكام في المدن حتى أصبحت في أواخر العهد العثماني تؤلف رابطة متينة تشد المحكوم إلى الحاكم وتبقي على تماسك الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية في الأرياف[4].ويمكن تصنيفها إلى ثلاثة أنواع هي القبائل المحلية العريقة، التي كانت تحتل الأراضي الخصبة الواقعة في المناطق التلية أو القريبة من المدن الكبرى ، منذ أقدم العصور، وقد جعلها موقعها عرضة للحملات العسكرية، وسهلة المنال، ولهذا فضلت من البداية التعامل مع العثمانيين مقابل الاحتفاظ بأراضيها، والانتفاع ببعض الامتيازات والتمتع بحق استخلاص الضرائب من قبائل الرعية[5] . كان وجود هذا النوع من القبائل ضروريا لبسط نفوذ الأتراك على الجزائر وتدعيمه وبدونها ما كان يتاح لهم البقاء ثلاثة قرون، رغم التجاء الأتراك إلى هذا النوع من السياسة إلا أن سلطتهم لم تتعد طوال وجودهم في الجزائر السدس من أراضي النيابة، أما باقي الأراضي فكانت شبه مستقلة لا يربطها بالحكومة المركزية إلا روابط مصلحيه لا غير[6].

---

1 صالح عباد : المرجع السابق، ص363

2 ناصر الدين سعيدوني والشيخ البوعبدلي، المرجع السابق، ص 108

3 صالح عباد :المرجع السابق، صص 364-365

4 ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي: المرجع السابق ص105

5 اوزقي شويتام: المجتمع الجزائري ..... ،المرجع السابق، ص235

6 العربي الغالي:الثورات الشعبية في الجزائر أثناء العهد التركي 1792-1830،رسالة ماجستير،جامعة دمشق،1985،ص53

الخاتمة:

كانت في الجزائر في الفترة العثمانية جماعات شبه عسكرية ترتبط مصالحها بخدمة الحكومة العثمانية الجزائرية، وكانت تأخذ تسمياتها من مواقعها مثل مخزن الزواتنة الذي يستمد اسمه من أراض البايلك الواقعة على ضفتي واد الزيتون كما يمكن ان نذكر مخزن المكاحلية وعرف بذلك لاستخدام فرسانهم للمكحلة وهي سلاح ناري. أما المهام التي كانت تكلف بها هذه القبائل فهي تتمثل أساسا في المحلات الفصلية لاستخلاص الضرائب وإيقاع العقاب على الممتنعين والمعاديين لسلطة البايلك، وكذلك كلفت قبائل المخزن بحراسة الأبراج والحصون والخوانق الجبلية والممرات الصعبة، وأماكن العبور والمسالك الرئيسية الواصلة بين البياليكات وعند الطواحن الهوائية والمائية والأسواق، بالإضافة إلى تجنيدها لإبعاد الخطر عن مطامر البياليك ومحطات الطرق (القوناق) حيث يستريح المسافرون والمحافظة على سلامة الجسور والقناطر باعتبارها نقاط الاتصال بين مناطق البايلك ونقاط التقاء المحلات الفصلية عند توجهها لجمع الضرائب. وحتى تكون حملات هذه المحلات مجدية اتخذت فصلي الربيع والخريف موعدا لانطلاقهما من مراكز البايالیك ودار السلطان بالجزائر متجهة إلى الأرياف، تتقدمها فرق الانكشارية ويحف بها فرسان المخزن المشهورين ببأسهم وقوة شكيمتهم، وقد زاد الاعتماد على فرسان قبائل المخزن عندما برهنت أثناء المعارك على كفاءتها وفعاليتها، حتى أصبحت العمود الفقري لهذه المحلات فكانت المنطقة الممتدة بين دار السلطان الى حدود منطقة القبائل، وبايلك التيطري، وبايلك قسنطينة، قسمت إلى أوطان وقيادات منها يسر وخشنة، وبني جعد ،وبني سليمان، وسور الغزلان، وعريب، وبرج حمزة. فمنها من كان تابع إداريا لدار السلطان، وهناك من كان خاضعا لبايلك التيطري وبايلك قسنطينة وهذا حسب التقسيم الجغرافي،وهي تتولى تأمين الطريق السلطاني ، الرابط بين دار السلطان وعاصمة بايلك الشرق قسنطينة ، كما كانت الطرق المؤدية من قسنطينة إلى مدن البايلك، مثل جيجل ، وعنابة ،وبسكرة وتبسة ، وباتنة تحت حراسة قبائل الزمالة والدواوير وقد اتبع نفس التنظيم في بايلك الغرب، وعاصمة بايلك التيطري المدية.